

بناء الجملة الفعلية في جزء عمّ

الماضوية أنموذجاً

أ.م.د. هدى طاهر محمد *

تأريخ القبول: ٢٠١٨/٥/٢٩

تأريخ التقديم: ٢٠١٨/٦/٢٧

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار وبعد.

فقد حظيت دراسة الجملة بعناية الباحثين، ونالت حظاً وافراً من الدراسة والبحث ولاسيما في القرن العشرين، وكان للدراسين العرب مشاركة فعالة، إلا أن أغلب الدراسات قامت على تحليل الأنماط الجميلة في دواوين الشعراء، أما عن الدراسات عن الجمل القرآنية فقد كانت قليلة، بسبب تعدد الصيغ وكثرة الأنماط، واختلاف الوجوه الإعرابية، فضلاً عن انتشار الجملة بقسميها الاسمية والفعلية انتشاراً واسعاً في القرآن الكريم، ولهذا وقع اختياري على بناء الجملة الفعلية في جزء عمّ الماضوية أنموذجاً، وهو امتداد للدراسات القرآنية، أما سبب اختياري لبناء الجملة، فهو أن الجملة الفعلية في القرآن كونها منتشرة انتشاراً واسعاً مع تعدد الأنماط، واختلاف الدلالات، ودقة التعبير القرآني في الأسلوب والصيغة.

أما هيكلية البحث فقد اقتضت أن أقسمه على تمهيد ومبحثين تسبقهما مقدمة، وتتلوها خاتمة اقتبست من إضاءات البحث. وقد تحدثت في التمهيد عن مصطلح البناء والفعل والجملة. أما المبحث الأول فجاء بعنوان جملة الفعل الماضي البسيطة واشتمل على محاور المحور الأول جاء بعنوان الجملة الماضوية المتعدية المبنية للمعلوم المجردة والمسندة إلى ضمير المخاطبين، والمحور الثاني جاء بعنوان الجملة الماضوية المتعدية المزيدة المسندة إلى ضمير الخطاب والمحور الثالث جاء بعنوان الجملة الماضوية

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية الاساسية/جامعة الموصل .

المتعدية المزيدة والممتدة بالعطف أما المحور الرابع فجاء بعنوان الجملة الماضيّة البسيطة المجردة الممتدة، وجاء عنوان المحور الخامس الجملة الماضيّة ذات الفعل المجرد والمتعدي إلى مفعولين ومسند إلى ضمير المتكلمين، ومتعدٍ إلى مفعول واحد وممتدة.

أما المبحث الثاني فعنوانه جملة الفعل الماضي البسيطة المحولة الممتدة وقسم على محاور المحور الأول فعنوانه الجملة البسيطة المبنية للمجهول، وكان عنوان المحور الثاني الجملة البسيطة المنفية، أما المحور الثالث فجاء بعنوان الجملة البسيطة المؤكدة، وقد اختلفت عدد أوراق المبحثين حسب طبيعة المادة. وكان منهجي انتقائي إذ وقفت على عدد من الآيات وحاولت دراستها. أما المصادر التي اعتمدت عليها فكانت مصادر نحوية منها الكتاب لسبويه ت ١٨٠هـ وكتب التفاسير منها الكشاف للزمخشري ت ٥٣٨هـ وكب معاني القرآن منها للفراء ت ٢٠٧هـ والمعجمات كالمعجم الوسيط وغيرها فضلاً عن بعض الرسائل التي أفدت منها دراسة الجملة القرآنية المبنية للمجهول دراسة نحوية، رافع إبراهيم العبيدي، وبناء الجملة الفعلية في السور المكية لفراس عبد العزيز عبد القادر وغيرها. ثم جاءت خاتمة البحث لتُجمل ما فُصل في متن البحث، وتبين أهم النتائج التي توصلت إليها. ثم ثبت للمصادر والمراجع.

وبعد فقد أخلصت النية في العمل، فإن حظي عملي بالاستحسان فذلك بفضل من الله، وإن أخطأت فهو من سهو الإنسان وأسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

إضاءات حول مصطلحات البناء والفعل والجملة

البناء في اللغة نقيض الهدم، فيقال بنى البناء مبنياً وبناءً والجمع أبنية، وأبنيات جمع الجمع^(١).

(١) ينظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ت ٧١١هـ، ط ٣، دار صادر، بيروت،

١٤١٤هـ-١٩٩٤م : ٩٤-٩٣/١٤.

أما البناء في النحو فهو نقيض الإعراب، أي أن تلزم الكلمة علامة إعرابية واحدة لا تتغير مهما تغيرت العوامل التي تؤثر في آخرها إعراباً^(١) فمصطلح البناء هو تركيب المفردات وصياغتها ضمن العلاقات النحوية الصحيحة التركيب في سياق كلامي، بحيث يشكل وحدة تركيبية بنائية واحدة.

أما الجملة فلا بد من أن نحاول أن نقدم عرضاً سريعاً لمصطلح الجملة فابن هشام يعرفها ((عبارة عن الفعل وفاعله، ك، قام زيد، وكان زيداً قائماً، وظننته قائماً))^(٢) فابن هشام ينظر إلى توافر عنصر الإسناد حسب من غير اشتراطه تمام المعنى، في حين ثمة قول للنحاة يرى أن تمام المعنى، شرط في حدّ الجملة. أما المحدثون فقد أولوا الجملة عناية فائقة في دراستهم، وأوردوا لها فصولاً وأبواباً في مصنفاتهم فقد عرفها د.مهدي المخزومي بأنها ((الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنتقل ما جاء في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع))^(٣). ويلاحظ أن د.المخزومي يركز على عنصر التمام المعنوي والإفادة مع إشارة خفية إلى مسألة الإسناد فيمكن أن يقال في تعريف الجملة أنها ((المركب المتضمن علاقة إسنادية واحدة أو أكثر مشروط فيها الإفادة المعنوية))^(٤).

أما الفعل فله دور كبير في تركيب الجمل وبنائها وأساليب تعبيرها في العربية بما له من دلالات زمنية بصيغته المختلفة مكنته أن يشكل ((مادة لغوية مهمة في بناء الجملة))^(٥).

(١) ينظر: شرح الحدود النحوية، عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي، ت ٩٧٢هـ، تح د.زكي فهمي الأوسي : ٧٨.

(٢) ٦٠. مغني اللبيب عن كتاب الأعراب، أبو محمد جمال الدين بن يوسف أحمد المعروف بابن هشام ت ٧٦١هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م : ٣٧٤/٢.

(٣) في النحو العربي نقد وتوجيه، د.مهدي المخزومي ت ١٩٩٣م، ط ١، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٤م : ٣١.

(٤) الجمل التي لا محل لها من الإعراب في القرآن الكريم دراسة نحوية، رسالة دكتوراه تقدم بها طلال يحيى إبراهيم، كلية الآداب، جامعة الموصل، إشراف أ.د.كاسد ياسر الزبيدي، ١٩٩٦ : ١٣.

(٥) الفعل زمانه وأبنيته، د.إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م : ١٥.

وقد ورد تعريف الفعل في أول مصنف في النحو العربي، وهو كتاب سيبويه إذ عرّفه ((وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ الأسماء وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع))^(١).

وعرّفه الزجاجي بقوله ((والفعل ما دل على حدث وزمان ماضي أو مستقبل نحو قام يقوم، وقعد يقعد وما أشبه ذلك))^(٢).

فالفعل في هذه التعريفات يشير إلى دلالة الفعل على الحدث والزمن معاً أما عبد القاهر الجرجاني فذكر أن الفعل يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء، فإذا قلت زيد منطلق، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير ان تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في زيد طويل وعمرو قصير، وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت زيد ها هو ذا ينطلق فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً وجعلته يزاوله ويزجيه^(٣) فقد ربط الجرجاني بين صيغة الفعل الصرفية وبين دلالاته على التجدد والحدوث فعلماء اللغة المحدثون لم يخرجوا عما رسمه القدماء من حيث إنهم ربطوا بين دلالاتي الفعل على الزمن والحدث، وبين صيغة الفعل الصرفية^(٤) أما مصطلح الجملة الفعلية فلم تكن نقطة البدء في دراسة نحائنا القدماء إلا أنهم تناولوا الأبواب المختلفة التي تمثل الوظائف النحوية المتعددة يوحى بتصوير ذهني معين تدور في إطاره الجملة العربية^(٥) وهذا يبدو واضحاً عند سيبويه عند كلامه على طرفي الإسناد^(٦).

(١) الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ سيبويه ت ١٨٠هـ، تد وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، د.ت: ١٢/١.

(٢) كتاب الجمل في النحو: ١.

(٣) ينظر دلائل الإعجاز، أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ت ٤٧١هـ، تد محمد رضوان الداية والدكتور فائز الداية، ط ٢، مكتبة سعد الدين، دمشق، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ١٨٢-١٨٣.

(٤) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٠٢، الفعل زمانه وأبنيته: ٢٣.

(٥) العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د.محمد حماسة عبد اللطيف، مطبوعات الجامعة الكويتية، ١٩٨٤م: ١٧.

(٦) ينظر: الكتاب ٥٣/١.

أما المتأخرون فاهتموا بالجملة عند دراستهم لأنواع الخبر في الجملة الاسمية^(١) فضلاً عن ذلك فقد حدّد القدماء دلالة الجملة الفعلية، كما فعل الجرجاني والكفوي^(٢). لقد كان للجملة الفعلية حظ أوفر في الدرس النحوي الحديث، فقد عدّها أحد الباحثين أنها أساس للتعبير في اللغة العربية^(٣) ورأى عدد من الباحثين المحدثين أن الجملة الفعلية هي ما كان المسند فيها فعلاً سواء تقدم المسند على المسند إليه أو تأخر^(٤). وقد جنح المحدثون في تقسيمهم الجملة الفعلية إلى النظر في الصيغة الصرفية أو الربط بين الصيغة، والدلالة الزمنية، فالجملة الماضية المثبتة التي تبدأ بالمسند وهو فعل ماضٍ ويليه المسند إليه نحو قام محمد، فتغير هذه الصيغة ثبوت القيام لمحمد في الزمن الماضي^(٥)، وليس بنا أن نستوفي دراسة كل أنواع الجملة في جزء عمّ ولكننا اخترنا منها للبحث (الماضوية) في الاطار الذي يشمل الإثبات والنفي والتوكيد معتمدين على الوصف فهو أقرب شيء إلى المنهج اللغوي المستقيم، ومن هنا تأتي أهمية دراسة الجملة القرآنية حيث إن تركيب الآية مرتبط بتركيب الجمل؛ لذلك كان من الضروري أن ندرس الجملة الماضية من حيث تركيبها للكشف عن البناء التركيبي للنص القرآني الذي تحدى فيه الخالق خلقه بأن يأتوا بسورة من مثله.

المبحث الأول

جملة الفعل الماضي البسيطة

- (١) ينظر: شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش، ت ٦٤٣هـ، عالم الكتب، بيروت، د.ت : ٨٨/١-٨٩؛ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت ٩٦/١.
- (٢) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، ت ١٠٩٤هـ، تد. عدنان درويش، محمد المصري، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤م : ١٥٣/٢.
- (٣) الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية، علي الجارم، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، ١٩٥٣، ح ٣٤٧/٧.
- (٤) ينظر: احياء النحو ٥٥، الفعل زمانه وأبنيته ٢١٠، نحو الفعل ٢٠-٢٢.
- (٥) ينظر: إسناد الفعل، د.سمية محمد المياح، ط ١، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م : ٩٧-٩٨.

المحور الأول: الماضوية المتعدية المبنية للمعلوم المجردة والمسندة إلى ضمير المخاطبين

هي تلك الجملة التي صدرها فعل ماضٍ وقد اقترن بضمير سواء أكان الضمير المتصل محله النصب على أنه مفعول به، أم كان الضمير مسنداً ومحله الرفع على أنه فاعل، وقد وردت الجملة الماضوية مسندة إلى ضمير المخاطب وصدرت بفعل متعدٍ إلى مفعول (ضمير المخاطبين) على وفق النمط الآتي:

و (حرف عطف) + فعل وفاعل ضمير + مفعول ضمير + الحال

قوله تعالى ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (النبا، ٨)

الواو حرف عطف وجملة الفعل الماضي المقترنة بضميري الرفع والنصب والحال معطوفة على المضارع المنفي بـ لم في ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ (النبا، ٦)، والتقدير وخلقناكم أزواجاً، فكان التقرير هنا على أصله، إذ المقرر عليه هو وقوع الخلق، فلذلك لم يقل ألم نخلقكم أزواجاً، وعبر هنا بفعل الخلق دون الجعل؛ لأنه تكوين ذاتهم فهو أدق من الجعل، وضمير الخطاب للمشركين الذين وجه إليهم التقرير بقوله ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ (النبا، ٦)، وهو التفات من طريق الغيبة إلى طريق الخطاب، والمعطوف عليه وإن كان فعلاً مضارعاً، فدخول لم عليه صيّرته في معنى الماضي لما هو مقرر من أنّ لم تقلب معنى المضارع إلى الماضي فلذلك حسن عطف (خلقناكم)؛ على ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾، والجبال أو تاداً ﴿ (النبا، ٦، ٧)، وجيء بفعل الماضي في قوله (وخلقناكم)؛ لأن مفاعيل فعل (خلقنا) وما عطف عليه ليست مشاهدة لهم، وذكر لهم من المصنوعات ما هو شديد الاتصال بالناس من الأشياء التي تتوارد أحوالها على مدركاتهم دواماً، فأقربهم بها أيسر؛ لأن دلالتها قريبة من البديهي، والأزواج جمع زوج وهو اسم للعدد الذي يكرر الواو تكريرة واحدة وقد وصف به كما يوصف بأسماء العدد ثم غلب الزواج على كل من الذكر وانثاء، وخلقناكم أزواجاً إيماء إلى ما في ذلك الخلق من حكمة وتعليق فعل خلقنا بضمير الناس،

وجعل أزواجاً^(١) حالاً منه ليحصل بذلك الاعتبار بكلا الأمرين دون أن يقال وخلقنا لكم أزواجاً^(٢).

وردت الجملة الماضية المتعدية المجردة مسندة إلى ضمير الغائبة قال تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ (الشمس، ٥).

ولفظ السماء حين يذكر يسبق إلى الذهن هذا الذي نراه فوقنا كالقبة حيثما اتجهنا متماسكاً لا يختل ولا يضطرب، تتحقق فيه صفة البناء بثباته وتماسكه، فالإنسان موقن أن يد الله وراء كل شيء وهي التي تمسك هذا البناء.

و(ما) بمعنى من لمعنى: والسماء والذي بناها^(٣) وقيل ما مصدرية^(٤) وعلى كل حال فهي معطوفة على الاسم قبلها، أو المصدر المنسبك منها ومن الفعل معطوف عليه، وذكر الزمخشري أن ما بمعنى الذي قاله الحسن ومجاهد وأبو عبيدة واختاره الطبري قالوا؛ لأن ما تقع على أولي العلم وغيرهم، وقيل مصدرية قاله قتادة والمبرد والزجاج وهذا قول من ذهب إلى أن ما لا تقع على أحاد أولي العلم، وقال الزمخشري^(٥) جعلت ما مصدرية وليس بالوجه، والوجه أن تكون موصولة صادقة على فعل الله تعالى، وجملة (بناها) صلة

(١) اعراب القرآن: النحاس، ١٣٥٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من كتاب التفسير المجيد ت محمد بن الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، مج ١٥، ج ٣٠، ص ١٥-١٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بـ الزجاج، ت ٣١١هـ، تد. عبد الجليل عبدة شلبي، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م : ٢٥٣/٥.

(٤) اعراب القرآن، مج ٨، ص ١٦٥.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت ٥٣٨هـ، شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادعي، الناشر مكتبة مصر، دار مصر للطباعة : ٥٩٨ / ٤.

الموصول، أي والبناء الذي بنى السماء، وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل: والسماء والقادر العظيم الذي بناها والحكيم الباهر الذي سواها^(١).
ويُنَى فاصلاً وهذه الآية على الهاء الذي هو ضمير المؤنثة الغائبة وقد اختلف موقع هذا الضمير من الإعراب، لكنه لا يخرج عن حالتين الأولى أن يكون في محل الجر بالإضافة الثانية أن يكون في محل نصب على المفعولية، وهذا هو الغالب عليه في الحالتين معمول لعامل أساسي في بناء الآية^(٢).

المحور الثاني: الجملة الماضيّة المتعدية المزيدة المسندة إلى ضمير الخطاب

وردت الجملة على وفق النمط الآتي:

فعل ماضٍ + مفعول به كاف المخاطبين + الفاعل معرف بالألف واللام

قال تعالى ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (التكاثر، ١)

انصل الفعل (الهي) بضمير المخاطبين (الكاف) وهي مفعول به مقدم وجوباً لذا آخر الفاعل (التكاثر) وفي الآية نهي بلفظ الخبر على تقدير حذف حرف النهي، والمعنى: لا يلهكم التكاثر^(٣). إذ أصل اللهو ((كل ما يشغل الإنسان عما يغنيه ويهمه ويقال: لهوت بكذا، ولهيت عن كذا، انشغلت عنه بلهو))^(٤).

وهناك نمط آخر للجملة الماضيّة المتعدية المزيدة المسندة إلى ضمير المتكلمين على وفق النمط الآتي:

فعل مضارع + فعل ماضٍ مزيد مسند إلى ضمير المتكلمين + مفعول به + صفة

قال تعالى ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأُ﴾ (البلد، ٦)

(١) البحر المحيط، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ، النشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية : مج ٨/٤٧٣.

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، الناشر مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م : ص ٢٤١.

(٣) ينظر: الامالي الشجرية، ١/٢٧٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الاصبهاني، ت ٥٠٢هـ، تح د. محمد أحمد خلف الله، مطبعة الفنية الحديثة، د.ت : ٤٧٥.

الاستخفاف هنا بالكافر الفاجر في جملة مقول القول (يقولُ أهلكُ ما لآلِ بُدَا) وتتأكد الدلالة القرآنية النحوية للآية المباركة فهي في ((موضع الحال من الإنسان))^(١) وقد عبّر سبحانه عن التفاخر الكاذب والتمتع بإتلاف المال في غير صلاح بفعل (الهلاك) المتصل بضمير المتكلم الهادر، وكان استخدام الفعل من قبيل المجاز اللغوي إذ عبّر عن الانفاق الضائع بالهلاك إظهاراً لعدم الاكتراث، وإنه لم يفعل ذلك رجاء نفع. و(أهلكُ) تبين البعد النفسي للفعل ولم يقل أنفقْتُ مع قريبها وذلك؛ لأن الاهلاك أولى بالغرور والطغيان وأنسب لجو المباهاة والفخر المسيطر على المقام^(٢) ويجوز أن تكون (أهلكُ) مستأنفة وأن تكون حالاً.

وتتسق الألفاظ^(٣) الجلالية السابقة مع لفظ (اللبد) المستخدم لأداء كنائي عن الكثرة في المال الهالك الضائع يتضح هذا من المعنى المعجمي للفظ، فهو مسقى من ((بليد الصوف أو الشعر أي ما تجمع والتصق بعضه ببعض))^(٤) ويعضد المعنى بصيغة

(١) التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٥٣/٣٠.

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن ت ١٤١٩هـ، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦ : ١٨٧/١؛ وينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، أبو الفتح عثمان ابن جني ت ٣٩٢هـ، مكتبة الثقافة الدينية، تر علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، القاهرة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م : ٣٦١/٢، النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ت ٨٣٣هـ، أشرف على تصحيحه ومراجعته أ.علي محمد الضبّاع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م : ٤٠١/٢، التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٣٥٣، إتحاف فضائل البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات، أحمد بن محمد البنا الدمياطي، ت ١١١٧هـ، تحقيق شعبان محمد اسماعيل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م : ٦١٠/٢، التحرير، مج ١٥، ج ٣٥٣/٣٠؛ النشر، ٤٠١/٢؛ الاتحاف، ٦١٠/٢؛ المتحسب، ٣٦١/٢.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالمسِين الحلبي ت ٧٥٦هـ، تد. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق : ٧/١١؛ التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٥٣/٣٠.

(٤) مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ تد. وضبط عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، مادة لب، ٢٢٨/٥.

الجمع فـ (البد) جمع لا بد فضلاً عن تشديد حرف الباء؛ ليعبر أصدق تعبير عن شدة ضياع المال وإهلاكه، وتكون القوة الصوتية في الدال قوة في الإنفاق الضار. ووردت الجملة الماضيّة المتعدية مزيدة بالهمزة على وفق النمط الآتي:

اسم الموصول (الذي) + الفعل الماضيّ المزيد بالهمزة + الفاعل (ضمير مستتر) + المفعول + المضاف إليه

قال تعالى ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (الشرح، ٣)

انقض نقض، النون والقاف والضاد أصل صحيح، "يدل على نكث شيء وربما دل على معنى من المعاني على جنس من الصوت"^(١) وفعله القاصر من: باب نصر ويعدى بالهمزة. وإسناد انقض إلى الوزر مجاز عقلي، وتعديته إلى الظهر تبع لتشبيهه المشقة بالجمل فالتركيب تمثيل لتمتجش المشاق الشديدة بالحمولة المثقلة بالأحمال ثقيلًا شديدًا حتى يسمع لعظام ظهرها فرقعاً وصريراً، وهو تمثيل بديع؛ لأنه تشبيه مركب قابل لتفريق التشبيه على أجزائه. وفي أنقض ظهرك اتصال حرفي الضاد والطاء وهما متقاربا المخرج وربما يحصل من النطق بهما من النقل على اللسان ولكنه لا ينافي الفصاحة ولو اقتضى نظم الكلام وورود مثل هذين الحرفين المتقاربين لم يعبأً البليغ بما يعرض عند اجتماعهما من بعض النقل وقد أوصى علماء التجويد بإظهار الضاد مع الطاء إذا تلاقيا^(٢)، فالضمير في ظهرك يحيل إلى الرسول (ﷺ) وبما أنه لم يجر له ذكر صريح في السورة؛ لأنها مرجعية خارجية تسهم في خلق النص إذ ربطت اللغة بسياق المقام، وتوزيعها بهذا الشكل يوحي بترباط هذه الآية وتماسكها وفي وحدة موضوعها وهو التسرية عن الرسول (ﷺ)، إذ الخطاب موجه إليه من الله لأن صاحب النعم هو الله، والمنعم عليه هو الرسول، إذن وظيفتها في النص هي ربطت السابق باللاحق من دون ذكر مرجع.

(١) معجم مقاييس اللغة، ١٠٠٧.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق المعروف بـ ابن عطية، ت ٥٤١هـ تد وتعليق الرحالي المفاروق عبد الله إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم محمد الشافعي صادق العناني، ط ١، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، قطر، ١٣٩٨هـ-١٩٧٧م : مج ١٥، ج ١٠، ص ٤١٠.

٣- الجملة الماضوية المزیدة المتعدية والممتدة بالعطف:

قبل الشروع في الجملة الممتدة، لا بد من تعريف للجملة الممتدة ((بأنها الجملة المكونة من مركب أسنادي واحد وما يتعلق بعنصره أو بأحدهما من مفردات أو مركبات غير إسنادية))^(١) أما ما اعتمدها في عد الجملة البسيطة ممتدة فهي أن تتضمن علاقة إسنادية واحدة، ثم تردف بمتعلقات أخر ذات علاقة إسنادية على أن تكون تلك المرادفات جملاً، مفردات، وترتبط مع ما قبلها بالعطف، أو الحال، أو النعت أو التفسير، أو التعليل أو الاعتراض، وقد وردت الجملة الماضوية الممتدة بالعطف في جزء عمّ في مواضيع مختلفة وعلى وفق النمط الآتي:

حرف عطف+ فعل ماض مزید بهمة + الفاعل+ المفعول+ مضاف إليه+ جملة معطوفة

قال تعالى ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ (النازعات، ٢٩)

غَطَشَ أصله من الأغطش، ((وهو الذي في عينه شبه عمش ومنه قيل فلاة غطش لا يهتدى بها، والتغطش التعامي عن الشيء))^(٢) وأغطش ليلها أي جعله مظلماً، وأضاف الليل إلى السماء؛ لأن الليل يكون بغروب الشمس. وهذه الجملة (واغطش ليلها) معطوفة على ﴿ مَرَعَ سَمَكَهَا ﴾ (النازعات، ٢٨)، وقيل أنه تجوز عن النهار بقرينة المقابلة، وقيل الكلام على حذف مضاف أي ضحى شمسها أي ضوء شمسها، وكنى بذلك عن النهار إذ عبّر عنه بالضحى؛ لأنه أشرف أوقاته، وفيه من انتعاش الأرواح ما ليس في سائرهما، فكان أوفق المقام تذكير الحجة على منكري البعث، وأضاف الضحى إلى السماء كما أضاف الليل إلى السماء لأنهما يحدثان بسبب عزوب الشمس وطلوعها^(٣) والضمير المتصل الهاء بـ (ليل) و(ضحى) هو ضمير السماء^(١).

(١) ينظر: الجملة دراسة لغوية نحوية، ١٥٣.

(٢) معجم مفردات غريب القرآن، ٣٧٤.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني أبو الفضل شهاب الدين محمود الأوسي البغدادي ت ١٢٧٠هـ، تد محمد أحمد الامد، عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي،

ووردت الجملة الماضيّة فيها الفعل مسند إلى ضمير الجمع وممتدة الجملة بالعطف أيضاً وعلى النمط الآتي:

حرف عطف + فعل + فاعل (واو الجماعة) + الجار والمجرور + الجملة المعطوفة

قال تعالى ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر، ٣)

أي تواصلوا باتباع الحق وهو القرآن^(٢)، فالفعل تواصلوا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لانتقاء الساكنين، وقد أسند الفعل إلى ضمير الجمع الذي هو في محل الرفع فاعل^(٣) وكّرر الفعل لاختلاف المفعولين وهو من باب الإطناب؛ لإبراز كمال العناية بالمأمورية والباء للاستعانة في الآية^(٤). وأردفت الجملة البسيطة بجملة العطف (وتواصلوا بالصبر) ويلاحظ تقدم صفة الحق على صفة الصبر لدلالة قرآنية؛ لأن التزام الحق صعب وشاق والتواصي بالصبر أيضاً لدلالة قرآنية إذ إن التزامه صعب وشاق أيضاً فهذا تكريم من الله ويعزز بتكرار الفعل تواصلوا وهم متواصلون بأشرف الصفات^(٥).

المحور الرابع: الجملة الماضيّة البسيطة المجردة الممتدة:

وردت الجملة الماضيّة المجردة الممتدة بحرف العطف الفاء، والفعل من غير مفعوليه:

حرف العطف (الفاء) + الفعل + الفاعل (مضمر) + حرف عطف الفاء + الفعل + الفاعل (مضمر)

قال تعالى ﴿ فَحَسْرَةَ قَدَائِي ﴾ (النازعات، ٥٣)

مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ٣٠/٣٢٦؛ تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت ٧١٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان : ٣٣١/٤.

(١) التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٨٦.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبد السلام، ت ٦٦٠هـ، مطبعة العامرة، الاستانة، ١٣١٣هـ : ص ٣١٢؛ روح المعاني، ٣٠/٦٣٥.

(٣) إعراب القرآن لدرويش، مج ٨، ص ٤٠٣.

(٤) هامش (١) من كتاب فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٣٦١.

إذ إن هذين الفعلين جاء بصيغة الفعل المتعدي المحذوف مفعوله. إذ التقدير فحشرهم إليه وناداهم^(١).

والحشرُ إخراج الجماعة عن مقرّهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها^(٢) وجملة فحشر عطف على جملة «يَسْعَى» (النازعات، ٢٢)؛ لأن فرعون بدل حرصه ليقنع رعيته بأنه الرب الأعلى خشية شيوع دعوة موسى لعبادة الرب الحق^(٣) وعطف فنادى بالفاء؛ لإفادة أنه أعلن هذا القول لهم بفوز حضورهم لفرط حرصه على ابلاغ ذلك إليهم وحذف مفعولي حشر، نادى وإسناد الحشر والنداء إلى فرعون مجاز عقلي؛ لأنه لا يباشر بنفسه حشر الناس ولا نداءهم ولكن يأمر أتباعه وجنده وإنما أسند إليه؛ لأنه الذي أمر به^(٤) ويلاحظ في الفعلين إضمار الفاعل.

وقد وردت الجملة الماضية متعدية مجردة وممتدة بجملة الفعل فيها مزيد بالتضعيف على وفق النمط الآتي:

الفعل الماضي + الفاعل + المفعول + المضاف إليه + حرف العطف (الفاء) + جملة معطوفة متكونة من حرف العطف والفعل المزيد بالتضعيف والفاعل المضمر والمفعول.

قال تعالى ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ (النازعات، ٢٨)

الراء والفاعل والعين أصل واحد^(٥) وهو مرادف للسَمَك فتعدية فعل رفع إلى السمك للمبالغة في الرفع، أي لرفع رفقها أي جعله رفيعاً، وهو من قبيل قولهم شعر شاعر، ظل ظليل، وجوّز أن يفسر السمك بالثخن فالمعنى جعل ثخنها في جهة العلو، ويقال للثخن سمك لما فيه من ارتفاع السطح الأعلى عن السطح الأسفل، قيل له عمق، ونظير ذلك

(١) معجم الأفعال التي حذف مفعولها غير الصريح في القرآن الكريم، د. عبد الفتاح الحموز، ط ١، دار الفيحاء : ٨٦.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ١١٨.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ١٣٦٧.

(٤) التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٨٠.

(٥) معجم مقاييس اللغة، ٣٩٥.

الدرج والدرك^(١) وجملة (رفع سمكها) جملة مبنية لجملة «بأها» (النازعات، ٢٧)^(٢) أو بدل اشتمال منها^(٣) وسلك طريق الاجمال ثم التفصيل لزيادة التصوير^(٤).

فسواها: الفاء للتعقيب والتسوية: التعديل وعدم التفاوت وهي جعل الأشياء سواء أي متماثلة، وقد تتعلق باسم شيء واحد، على معنى تعديل جهاته ونواحيه إذ إن تسوية السماء حصلت مع حصول سمكها^(٥)، ويتضح من دلالة السمك، كون السمك يعني الارتفاع والعلو على نحو متناسق للسماء كلها.

وثمة نمط آخر للجملة الماضيّة المتعدية فيها الفعل مجرد ومعطوف عليه اسم على وفق النمط الآتي:

حرف العطف (الواو) + فعل ماضٍ + الفاعل (الواو) + المفعول به + حرف العطف + اسم معطوف

قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (الليل، ٣)

الواو حرف عطف، ما بمعنى الذي^(٦) خلق الذكر والأنثى.

قال أبو جعفر: هذا وجه بعيد أن تكون ما بمعنى من، إلا أن العكبري ذكر أن ما بمعنى من، أو مصدرية. فعلى الأول من كناية عن الله. إذ إن أصل الفعل (خلق) هو الإبداع والايجاد من غير أصل^(٧) وخلق: الفعل الماضي وفاعله (الواو). ولفظ الذكر: مفعول أو يكون كني به عن المخلوق، فيكون الذكر بدلاً من (من) والعائد محذوف^(٨).

(١) ينظر: روح المعاني، ٣٠/٣٢٥.

(٢) الدر المصون، ١٠/٦٧٨.

(٣) إعراب القرآن محيي الدين الدرويش، مج ٨/٢١٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٨٤.

(٥) م، ن، ص ٨٥.

(٦) إعراب القرآن، النحاس، ١٣٣٠.

(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن، ١/٢٢٥؛ بصائر ذوي التمييز، ٢/٥٦٦.

(٨) التبيان في إعراب القرآن، ٢/١٢٩١.

وخلق من الأفعال المتعدية إلى مفعول مباشر، وذهب الدكتور الشمسان^(١) إلى أن خلق يرد متعدياً إلى مفعولين أحدهما غير مباشر، أي إن الأول جزء من معنى الفعل، والثاني هو مقيد له، ويمكن القول إنه إذا كان الفعل خلق بمعنى (صير) فإنه يدل على التحويل من حالة إلى أخرى كقوله تعالى ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ (المؤمنون، ١٤) فيتعدى إلى مفعولين سواء أكان التعدي مباشراً أم كان التعدي إلى الثاني مقيداً بالحرف في حين إذا دلّ على الإيجاد والخلق تعدى إلى مفعول مباشر ويعرب لفظ الذكر مفعولاً به، إذ إن بداية الآية (وما خلق ...) مصدرية فأقسم الله بأثر من آثار قدرته وهو خلق الزوجين فالقسم يتعلق من تعلق صفات الأفعال الإلهية وهي قسم من الصفات لا يختلف في ثبوته عندما قال في كتابه ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (الليل، ١-٣).

٥- المحور الخامس الجملة الماضية ذات الفعل المجرد المتعدي إلى مفعولين ومسند إلى ضمير المتكلمين:

حرف العطف + فعل ماضٍ + الفاعل (ضمير المتكلمين) + المفعول الأول + المفعول الثاني

قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النبا، ٩)

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا، ١١)

إذ تبدأ الجملة الأولى بالفعل الماضي جعل المسند إلى ضمير المتكلمين تعظيماً لذاته ومفعولين فهذا الاستدلال بأحوال الناس وخصّ منها الحالة التي هي أقوى أحوالهم المعروفة شبهها بالموت الذي يعقبه البعث، وهي حالة متكررة لا يخلون من الشعور بما فيها من العبرة فساق الآية فيه تدبير نظام النوم، وما يطرأ عليه من اليقظة أشبه بحال الموت، وما يعقبه من البعث وأوثر فعل جعلنا؛ لأن النوم كيفية يناسبها فعل الجعل لا

(١) ينظر: الفعل في القرآن الكريم، ٣٧٥؛ وينظر: ٣٩٧.

فعل الخلق المناسب لإضافة نوم إلى ضمير المخاطبين ليست للتقييد لإخراج نوم غير الإنسان، فإن نوم الحيوان كله سبات ولكن الإضافة لزيادة التشبيه للاستدلال، أي إن دليل البعث قائم بين في النوم، الذي هو من أحوالكم وأيضاً لأن في وصفه بسبات امتناناً والامتنان خاص بهم إذ أوتر هذا اللفظ لما فيه من الإشعار بالقطع عن العمل ليقابله بعده ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ (النبا، ١١)^(١) ويلاحظ أن فن الترسل في الفواصل الذي اتقنت مقاطعه وتطابقت قوله وجعلنا نومكم سباتاً، وجعلنا النهار معاشاً، فكل لفظة أخيرة في القرائن السابقة تتطابق مقاطعها تطابقاً كاملاً على النحو الآتي:

سُبَاتًا (سُ / با / تا) قصير + طويل + طويل

مَعَاشًا (م = / عا / شا) قصير + طويل + طويل

وثمة نمط آخر للجملة الماضيّة المتعدية إلى مفعولين والفعل مسند إلى ضمير المتكلمين والمفعول الأول ضمير الغائب كما في قوله تعالى ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد، ١٠).

إذا ألقينا الضوء على هذا القول نراه يجري جريان الاستعارة والتشبيه لافتتاً (عَلَّيْنَا) النظر الإنساني إلى دقة المفردة القرآنية في موضعها الفني وصورتها الجالية ففي قوله (وهديناه) عطف نعمة على نعم سابقة، والهدى جاء بمعنى البيان^(٢). والنجدين في أصل الوضع الغوي: ((الأرض المرتفعة ارتفاعاً دون الجبل، فالمراد هنا طريقان نجدان مرتفعان والطريق، قد يكون منجدا مصعداً، وقد يكون غورا منخفضاً))^(٣). وقد استعير النجدان للخير والشر، وجعلنا نجدين لصعوبة اتباع أحدهما وهو الخير فغلب على الطريقين أو لأن كل واحد صعب باعتبار فطريق الخير صعوبته في سلوكه وطريق الشر صعوبته في عواقبه، ولذلك جاء التعبير عنه في بالعقبة^(٤).

(١) التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ١٨-١٩.

(٢) كشف السرائر في معنى الوجوه والنظائر، ابن العماد، ط ١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٤ : ٢٦.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٥٠٣.

(٤) التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٣٥٤.

وثمة نمط آخر للجملة الفعلية الماضية فيها الفعل مجرداً ومتعدياً إلى مفعول واحد والجملة ممتدة بالعطف.

واو العطف الفعل+ الفاعل (الله) +المفعول (ضمير الكاف)+الحال + حرف العطف+ جملة الفعل الماضي

﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ (الضحى، ٧)

وَجَدَ بمعنى ألقى وصادفَ، وهو الذي يتعدى إلى مفعول واحد، ومفعوله هو ضمير المخاطب، ضالًّا حال^(١).

إذ قول الفعل الماضي (هدى) باسم الفاعل (ضال) بتقديم الوصف على الفعل، ولا يمكن حمل (ضالًّا) على الضلال، الذي يقابله الهدى، لأن الأنبياء معصومون من ذلك^(٢).

وحذف مفعول فهدي للعلم به من ضمير الخطاب قبله، وحذفه إيجاز وفيه رعاية على الفواصل^(٣) أي الأصل يقال هداك، فلو ذكر الكاف لم ينسجم مع رؤوس الآي المنتهية بالألف وقيل حذف المفعول؛ ليدل على سعة الكرم، والمراد هداك، ولك، وبك^(٤). والذي نراه كما ذهب ابن عاشور أنه حذف لظهور المراد ورعاية الفاصلة وسعة الكرم^(٥).

المبحث الثاني

جملة الفعل الماضي البسيطة المحولة الممتدة^(٦)

(١) م. ن، ص ٣٩٩.

(٢) ينظر: الكشاف، ٢٦٤/٤؛ التفسير الكبير، ٢١٦/٣١-٢١٧؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى (تفسير البيضاوي) أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٧٩١هـ، حققه وبين الأحاديث الموضوعية والضعيفة والإسرائيليات فيه الشيخ عبد القادر العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م : ٦٠٤/٢؛ البحرالمحيط، ٤٨١/٨.

(٣) روح المعاني، ١٦٣/٣٠.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٤٠٠.

(٦) هذا المفهوم هو من النظرية التوليدية التحولية ليشمل ما حول بالنقص كجملة المبني للمجهول، أو بالزيادة كالجملة الاستفهامية، والمنفية والمؤكدة.

المحور الأول: الجملة البسيطة المبنية للمجهول

ونعني بها تلك الجملة القائمة برأسها من دون أن تتعلق بغيرها بعلاقة اسنادية، ويكون الفعل فيها مبنياً للمجهول، حيث يحذف الفاعل، ويقوم المفعول به، أو أحد المتعلقات، ويسمى نائب الفاعل، وقد اختلفت تسمية النحاة للصيغة على مصطلحات عدة (ما لم يسم فاعله، والمفعول الذي لم يسم فاعله، ونائب عن الفاعل، والفعل المبني للمفعول، والفعل المبني للمجهول، وقد استقر هذا الأخير مصطلحاً متداولاً، شائعاً دالاً على الفعل في حين استقر، وشاع النائب عنه دالاً على المفعول^(١)).

وقد وردت الجملة الماضوية المبنية للمجهول محولاً الفعل المجرد المتعدي إلى مفعول وقد اتصل بالفعل تاء التأنيث الساكنة التي كسرت لالتقاء الساكنين على وفق النمط الآتي:

حرف عطف + فعل ماضٍ مبني للمجهول + تاء التأنيث الساكنة + نائب عن الفاعل (معرفاً بالألف واللام) + ف التعقيب + كان + الاسم (ضميراً) + الخبر.

قال تعالى ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ (النبا، ١٩).

فتُح السماء انشاقها بنزول الملائكة من بعض السماوات نزولاً يحضرون به لتنفيذ أمر الجراء، فبمجرد تعلق الفتح بالسماء مشعر بأنه فتح شديد، فالفتح والفتح سواء في المعنى المقصود، وهو تهويل يوم الفصل وُفِر على انفتاح السماء بفاء التعقيب فكانت أبواباً والإخبار عن السماء بأنها أبواب جرى على طريق المبالغة في الوصف للدلالة على كثرة المفاتيح فيها حتى كأنها هي أبواب^(٢).

وجملة (وفُتحت السماء) عطف على (يُنْفَخُ) (الآية ١٧) على ما قيل ويعتبر (يوم) (الآية ١٨) مضافاً إلى هذه الجملة على حد قوله ((يوم تشقق السماء)) (الفرقان، الآية ٢٥) والتعبير بالفعل الماضي لتحقيق وقوع هذا التفتيح، حتى كأنه قد مضى وقوعه، وعن الزمخشري أنه معطوف على (فتأتون) (الآية ١٨)، وليس بشرط، أن يتوافقا في الزمان كما يظن من ليس بنحوي، وأقره في الكشاف^(٣).

(١) دلالة الجملة القرآنية المبنية للمجهول، دراسة نحوية، ص ١٥٨ رسالة ماجستير.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠/٣٢.

(٣) ينظر: الكشاف ٤/٥٣٢، وروح المعاني ٢٩/٢٩٦.

وقال الشرط في حسنه أن يكون مقرباً من الحال أو يكون المضارعة حكاية حال ماضية وما نحن فيه مضارع جيء به بلفظ الماضي تفخيماً وتحقيقاً لوقوعه فهو أقرب قريب منه، ولو جُعِلَ حالاً على معنى (فتأتون)، وقد (فُتحتِ السماء) لكننا وجهاً^(١). وقد وردت الجملة الماضوية المبنية للمجهول متصدرة بالفعل المزيد وممتدة بجملة العطف نحو قوله ﴿ وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ (النبأ، الآية ٢٠).

التسيير جعل الشيء سائراً أي ماشياً. وأطلق هنا على النقل من المكان، أي نقلت الجبال، وقلعت من مقارها بسرعة بزلزال^(٢) حتى كأنها تسير من مكان إلى آخر، وهو تهويل يوم الفصل، والفاء للتعقيب كما دل عليه تعقيبه بقوله فكانت سرايا؛ لأن ظاهر التعقيب أن لا تكون معه مهلة، أي فكانت كالسراب في أنها لا شيء^(٣)؛ لأن السراب هو ما يلوح في الصحارى مما يشبه الماء وليس بماء، ولكنه حالة في الجو القريب تتشأ من تراكم أبخرة على سطح الأرض^(٤).

ووردت الجملة الماضوية المبنية للمجهول متعدية بالفعل المحول عبر الفعل المتعدي إلى مفعول وقد قيّد بالحرف من على وفق النمط الأتي (فعلٌ ماضٍ مبني للمجهول + جار ومجرور (نائب عن الفاعل)).

قال تعالى ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ (الطارق، ٦).

إذ بنيت الجملة للمجهول اهتماماً بفعل الخلق أولاً وبالمخلوق ثانياً، الإنسان مراد به خصوص منكر البعث والدافق هو الخارج بقوة وسرعة^(٥) وصيغة دافق اسم فاعل من الفعل (دقق) القاصر، وهو قول فريق من اللغويين، وقال الجمهور لا يستعمل (دقق)، قاصراً، وجعلوا دافقاً بمعنى اسم المفعول، وجعلوا ذلك من النادر، وعن الفراء^(٦)، أهل

(١) ينظر: روح المعاني، ٢٩/٢٩٦.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط، ١/٤٧٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ٣٣.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط، ١/٤٢٦.

(٥) ينظر: المعجم الوسيط، ١/٢٨٩.

(٦) معاني القرآن، ٣/٢٥٨.

الحجاز يعملون المفعول فاعلاً، إذا كان في طريقة النعت، وسيبويه^(١) جعله من صيغ النسب كقولهم تامر، ففسر دافق بذى دَفَق، والأحسن أن يكون اسم فاعل^(٢) ويكون دَفَقَ مطاوع دَفَقَة وأطنب في وصف هذا الماء الدافق لإدماج التعليم والعبرة بدقائق التكوين ليستيقظ الجاهل الكافر ويزداد المؤمن علماً^(٣).

المحور الثاني: الجملة البسيطة المنفية:

المقصود بها تلك "الجملة المسبوقة بأداة من أدوات النفي لنفي علاقة الإسناد بين الفعل والفاعل بزمن معين"^(٤).

ونزيد على التعريف علاقة الفاعل بأحد المتعلقات في الجملة، أي إنه لا يسلط النفي على العلاقة بين الفعل وفاعله حسب، بل على المتعلقات أيضاً، ولأسلوب النفي في القرآن طرائق متعددة وأدوات مختلفة ودلالات متباينة، فهو كثير الشيوخ وأوسع الاطراد، فإذا نظرنا إلى الجملة الماضوية نرى أنها وردت منفية بـ :

١- ما :

(ما) حرف من حروف النفي غير المختصة، فهي تدخل على الأسماء والأفعال معاً فإذا دخلت على الأفعال لم تعمل فيها، لأنها حرف مهمل غير عامل، وتفيد النفي في الحال حكمها كحكم ليس، غير أنها حرف بلا خلاف فإذا قلت زيد يفعل، فنفيه زيد ما يفعل^(٥) وقد يرد فاعل ما أو مفعولها مجروراً بـ من، التي اصطلاح عليها النحاة بالزائدة للتوكيد، غير أنهم وضعوا لزيادتها شروطاً ثلاثة:

(١) الكتاب، ٣/٣٨١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، ١٦/٢٧٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٢٦٢.

(٤) الجملة العربية في شعر عروة بن اذنية، ضياء الدين الفلاحى، مطبعة التعليم العالى، جامعة الموصل، ١٩٨٩م : ١٢٤.

(٥) ينظر: المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ، تد محمد عبد الخالق عظيمه، عالم الكتب، بيروت، دت : ٤٨/١؛ الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل المعروف بـ ابن السراج، ت ٣٦٧ هـ، تد د. عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٣م : ١/٥٩-٦٠.

الأول أن يتقدمها نفي أو نهي أو استفهام. والاستفهام مسبوق بحرف لا باسم، وزادوا تقدم الشرط عليها، والثاني أن يكون المجرور نكرة والثالث أن تكون مع مجرورها في محل رفع فاعل، أو ابتداء أو في محل نصب مفعولاً به^(١).

وقد وردت الجملة الماضوية الممتدة منفية بـ ما متصدرة بالفعل المزيد بالهمزة المتعدية سالكاً سلوك اللازم من الأفعال على وفق النمط الآتي:

ما + فعل ماض + جار ومجرور + الفاعل مضاف + المضاف إليه + حرف العطف + ما + (جملة ماضوية معطوفة).

﴿ مَا أَعْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ (المسد، ٢).

أصل الفعل أغنى متعد إلى مفعول، غير أنه سلك سلوك الأفعال اللازمة في الآية اهتماماً بالحدث^(٢)، وثمة قول بأن الفعل أغنى متعد إلى مفعولين، ثانيهما يتعدى إليه بالجار والمجرور^(٣).

وفي (ما) وجهان إعرابيان: أحدهما أنها للنفي، والمعنى لم يغن عنه ماله الموروث وثانيهما إنها للاستفهام، الدال على التوبيخ والتفريع والمعنى أي شيء أغنى عنه^(٤)، وقدم لكونه صدر الكلام^(٥).

ويلحظ في تركيب الجملة، الفصل بين الفعل وفاعله، بالجار والمجرور (عنه) مفيدة المجاور، لذا اقترنت بالفعل استغنى^(٦).

(١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد المعروف بـ ابن هشام ت ٧٦١هـ ومعه كتاب هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٦، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠ : ١٣٠/٢.

(٢) ينظر: الفعل في القرآن الكريم، ص ٥٥٤.

(٣) ينظر: معجم الأفعال التي حذف مفعولها غير الصريح في القرآن، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن، ٧٥٥/٢؛ البحر المحيط، ٣٢٥/٨.

(٥) ينظر: التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، ت ٦٠٦هـ، ط٢، طهران، د.ت : ١٥٦/٢٣، الدر المصون: ١٤٣/١١.

(٦) ينظر: همع الهوامع، ٢٩/٢.

وثمة ظاهرة أسلوبية هي العدول عن التصريح بالفاعل بضمير الغائب استغناءً بذكره في الآية السابقة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد، ١) فضلاً عن التقليل من شأنه، ثم أردفت الجملة الممتدة بالعطف (وما كسب)، إذ إن ما عطف على ماله وهي بمعنى الذي كسب، وهو صلته، ولا بد من تقدير (ها) محذوفة وهي العائد أو الرابط لـ ما الموصولة؛ لأنها بمعنى الذي والتقدير وما كسبه أي ما جمعه من الأرباح، والننائج، والوجاهة والاتباع^(١)، وعطف (وما كسب) من ذكر الخاص بعد العام للتخصيص والاهتمام به، وقد أحال أداة الربط (ما) وهي الاسم الموصول العام الدال على غير العاقل إحالة بعدية تعود على العنصر الاشاري (كسب) المتأخر فتحقق الترابط ترابطاً تركيبياً على مستوى الآية الواحدة من حيث الجانب الشكلي والمضموني وتماسكهما، وحذف مفعول كسب مراعاة لفواصل الآيات وزيادة في معنى التهديد والوعيد^(٢).

وثمة نمط آخر للجملة الماضيّة المنفية إذ وردت متصدرة بـ ما وفعل مزيد بالتضعيف متعدٍ (ودّع) ومفعول به (ضمير) + فاعل مضاف + جملة معطوفة متكونة من ما نافية + فعل ماضي مجرد.

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (الضحى، ٣).

ما نافية، ودع من التوديع، وهو في الأصل من الدعة^(٣)، وهو أن تدعو للمسافر بأن يدفع الله تعالى عنه كآبة السفر، وأن يبلغه الدعة وخفض العيش، وفي الكشاف التوديع مبالغة من الودعك أي الترك؛ لأنّ من ودّعك مفارقاً فقد بالغ في تركك، قيل وعليه يلزم أن يكون المنفي الترك المبالغ فيه دون أصل الترك، مع أن الظاهر نفي ذلك، ولا بد من أن يقال إنّما نفي ذلك لأنه الواقع في كلام المشركين الذي نزلت له الآية، أو أن المبالغة تعود على النفي، فيكون المراد المبالغة في النفي لا نفي المبالغة^(٤). إذ إنّ ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾،

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٥٢٢، إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ١٧٥

(٢) السياق الموسيقي للجملة العربية وأثره في بنائها، ص ٥٧.

(٣) ينظر: معجم الوسيط، د. إبراهيم السامرائي ود. عبد الحلیم منتصر عطية الصوالحي ومحمد خلف الله

أحمد، ط ٢، دار الأمواج، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م : ١٠٣٢/٢.

(٤) ينظر: الكشاف، ٦٠٣/٤.

ما نافية، وهي جواب القسم ﴿وَالضُّحَىٰ ، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (الضحى، الآية ١، ٢).
وجملة جواب القسم منفية لم تقترن باللام^(١)، ودَعَكُ: فعل ومفعول، وفاعل مستتر، وجملة
ما ودَعَكُ حالية، أي ما ودَعَكُ رَبِّكَ وما قلاك^(٢)، وجملة (وما قلَى) عطف على ما
ودَعَكُ^(٣). وقد حذف مفعول قلَى اختصاراً إذ يعلم أنه ضمير المخاطب وهو الرسول
(ﷺ)^(٤).

وثمة نمط آخر للجملة الماضية المنفية إذ وردت متصدرة ب:
ما + الفعل الماضي المبني للمجهول + نائب عن الفاعل ضمير + جار ومجرور +
حال.

نحو قوله تعالى ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ (المطففين، ٣٣).
جملة وما أُرْسِلُوا عليهم حافظين في موضع الحال أي يلمزهم بالضلال في حال أنهم لم
يرسلهم مرسل؛ ليكونوا موكلين بأعمالهم، فدَلَّ على أن حالهم كحال المرسل. لذلك نُفي أن
يكونوا أُرْسِلُوا حافظين عليهم فإن شدة الحرص على أن يقولوا إن هؤلاء لضالون كلما
رأوهم يشبه حال المرسل ليتتبع أحوال أحد، ومن شأن الرسول الحرص على التبليغ والخبر
مستعمل في التهكم بالمشركين، أي لم يكونوا مقيطين للرقابة عليهم والاعتناء بصلاحهم.
فالحفظ هنا الرقابة ولذلك عدِّي بحرف (على) ليتسلط النفي على الإرسال، والحفظ ومعنى
الاستعلاء المجازي الذي أفاده حرف (على) فينتفي حالهم الممثل.
وتقديم المجرور على متعلقه للاهتمام بمفاد حرف الاستعلاء، على وبمجروره مع الرعاية
على الفاصلة^(٥).

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهذاني ت ٧٦٩هـ،
ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١٤، م
السعادة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م : ٣٨٢/٢.

(٢) روح المعاني، ٥٢٢/٣٠.

(٣) إعراب القرآن وبيانه، مج ٣٤٢/٨.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٤٨١/٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٢١٤.

٢ - لا:

وردت الجملة الماضيّة منفية ب لا ومتصدرة بالفعل المزيد اللازم على وفق النمط الآتي:

لا + الفعل المزيد + الفاعل + المفعول

قال تعالى: ((فلا اقتحم العقبة)) البلد الآية ١١

يلاحظ أن استخدام النفي لا بمعنى لم للفعل الماضي قليل قياساً إلى الأدوات النافية الأخر والعقبة مفعول به والمصدر اقتحاماً^(١)، لذا اشترط في نفيها تكرارها حتى عدّ تركه شاذاً في الاستعمال^(٢) وعلّلوا عدم تكرارها في قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) أنه محمول على المعنى حيث فسر اقتحام العقبة بما جاء بعده من فك الرقبة أو اطعام المسكين^(٣).

فهذا النص القرآني المبارك يعد قمة في الاعجاز اللغوي والبلاغي؛ لأنه بدأ بالاستفهام المحذوف إذ التقدير في القول الكريم أفلا اقتحم العقبة والذي أفادَ التقرّيع والتوبيخ والانتكار والتعجب^(٤) من أمر المهدر للمال لفرط غروره بقوته وثرائه حتى حسب أن لن يقدر عليه أحد. ولعلّ بلاغة الحذف ((الدخول في الأمر الشديد))^(٥).

وقد استعير الفعل ((فشبه تكلف الأعمال الصالحة باقتحام العقبة في شدته على النفس ومشقته))^(٦) وتأتي الاستعارة الثانية لتدل على صعوبة وأهمية الالتزام بمنهج الله المستقيم، فالعقبة ((الطريق الوعر في الجبل))^(٧).

وقد استعير اللفظ لأداء والتزام الأعمال الصالحة التي عبر عنها بالعقبة لصعوبة سلوكها، وبذلك يكون النسق القرآني معجزاً ببلاغة دلالاته فلقد تتابعت الاستعارات العقبة والاقتحام،

(١) ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ٧٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد المعروف بـ الفراء، ت ٢٠٧هـ، تد محمد علي النجار واحمد يوسف نجاتي، ط ٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٨٣م : ٢٦٤/٣؛ مغني اللبيب، ٢٤٢/١.

(٣) ينظر: تفسير الكشاف: ٧٥٦/٤.

(٤) تفسير روح البيان، اسماعيل حقي البروسوي ت ١١٢٧هـ، بيروت، د.ت : ٤٣٧/١٠؛ وينظر همزة الاستفهام في القرآن الكريم، مجلة هدي الإسلام، ع ٨٠، م ٤٤، س ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ٥٣.

(٥) مقاييس اللغة، مادة قح: ٦١/٥.

(٦) البحر المحيط: ٤٧٦/٨.

(٧) ينظر المعجم الوسيط: ٦١٩/٢.

وبني بعضها على بعض من احسن الاستعارة وهي مبنية على تشبيه المعقول بالمحسوس^(١).

فضلاً عن ذلك فإن لنا رأياً صرفياً في الآية المباركة إذ إن صيغة الفعل المزيد والذي أتى لغرض طلب الاقتحام كما دلّ السياق القرآني على ذلك، فالفعل اقتحم بحروفه الزوائد قد يكون أدل على التكلف وصعوبة ومجاهدة النفس، وكبح جماحها في إعلام المال اللبد، ويضاف إلى الاعجاز القرآني الصرفي، اعجاز مجازي يكمن في أن الآية المباركة يكنى بها عن الفشل في بذل المال من صالح الأعمال وتحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع الاسلامي. وبذلك فإن الآية الكريمة شأنها شأن كل آيات الكتاب العزيز، قد بلغت من الاعجاز اللغوي والدلالي والصرفي والبلاغي ونخص منه المجازي؛ لأنه مجاز قد انطوى على أركانه الأساسية الاستعارة والتشبيه والكناية في آن واحد، وكل ذلك يتساوق مع المعنى القرآني المقصود، أي مع الحقيقة المطلقة فبلع الدقة المتناهية في اكتشاف ماهية الحقائق الإنسانية وهذا لا يكون إلا من خلال كتاب معجز كلامه لرب العالمين، فضلاً عن ذلك فإن الآية المباركة قد احتوت بلاغة بدیعة قرآنية هي ما يصطلح على تسميته بالجمع والتقسيم فلقد جمع (صَلَّى) الأعمال الصالحة والتي فحواها لمن ينفق المال الكثير الوفير؟ في لفظة (العقبة) ثم أعقبها ببديع التقسيم: أي تقسيم المال على الحالات الإنسانية المتعددة المستحقة لهذا المال وهي ((تحرير الإنسان من أغلال الرق والعبودية أو إطعام جائع يتيم ذا مقربة أو مسكيناً ذا مترية))^(٢).

المحور الثالث: الجملة البسيطة المؤكدة:

ونعني بها الجملة (التي دخلت عليها بعض الأدوات أو التراكيب مؤكدة علاقة الإسناد بين الفعل والفاعل)^(٣).

والتوكيد أسلوب من أساليب التعبير القرآني، الغرض منه تقوية مضمون الجملة وإزالة الشك والريب لدى السامع سواء أكان التوكيد لفظياً، أم كان توكيداً معنوياً، وقد

(١) التحرير والتنوير، ٣٠/٣٥٧.

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم، ١٨٦.

(٣) الجملة العربية في شعر عروة بن أذينة: ١٦٠.

استعمل الأسلوبان كلاهما في القرآن الكريم حسبما يقتضيه المقام والسياق. وإذا انتقلنا إلى ميدان بحث الجملة الماضية المؤكدة نرى أنها وردت بأساليب متعددة سنقف عندها محللين ذلك تركيباً ودلالة.

١ - التوكيد بالأداة قد:

قد من حروف التوكيد المختصة بالدخول على الأفعال المتصرفية، وهي حرف جواب لمتوقع خبره، وتعني تحقيق الإثبات مناقضة لـ ما النافية^(١). وتدخّل على الفعل الماضي مؤكدة لمضمون ما دخلت عليه، مقربة الماضي من معنى الحال، وجملة معانيها في الفعل الماضي ثلاثة:

التحقيق والتقريب والتوقع^(٢):

وردت قد مؤكدة الجملة الماضية في مواضع مختلفة. سنقف عندها محللين عدداً منها وكما يأتي فقد دخلت على الفعل المزيد اللازم على وفق النمط الآتي:

(قد + فعل ماضٍ مزيد + الفاعل (اسم موصول) + فعل ماضٍ مزيد)

قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَى ﴾ (الأعلى، ١٤).

استئناف بياني؛ لأن ذكر في الآيتين العاشرة والحادية عشرة ﴿ سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى ﴾ ﴿ وَيَجْجِبُهَا أَشَقَى ﴾ فوصف الأشقى بأنه ﴿ الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى ﴾ (الأعلى، ١٢)، وأخر ذكر ثواب الأتقى تقديماً للأهم في الغرض، قد أفلح، فإنّ الفلاح نجاح المرء فيما يطمح إليه فهو يجمع معنيي الفوز والنتفع وذلك هو الظفر بالمبتغى من الخير، والاتيان بفعل المضى في قوله (أفلق) للتنبيه على المحقق وقوعه من الآخرة، واقترانه بحرف قد لتحقيقه وتثنيته كما في قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَهَا ﴾ (الشمس، ٩)، (وتزكى) بذل استطاعته في تطهير نفسه وتزكيته، فمادة التفعّل للتكلف وبذل الجهد، وأصل ذلك هو التوحيد، والاستعداد للأعمال الصالحة التي جاء بها الإسلام، ويجيء بها فيشمل زكاة الأموال^(٣)،

(١) ينظر: الكتاب، ١/٩٨؛ الصاحبى: ١٥٨.

(٢) ينظر: معاني الحروف، ٩٨-٩٩؛ الجنى الدانى: ٢٧٣.

(٣) ينظر: اعراب القرآن، النحاس، ١٣٠٩؛ الكشف، ٥٧٩/٤.

وقدم التزكي على ذكر الله، والصلاة؛ لأنه أصل العمل بذلك كله، فإنه إذا تطهّرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية فعلمت منافعها وأكثرت من الإقبال عليها، والتزكية الارتياض على قبول الخير أي تزكى بالإيمان^(١).
وقوله (قد أفلح من زكاها) الشمس، الآية ٩.

قد + فعل ماضي مزيد بالهمزة + الفاعل (اسم موصول) + جملة فعلية (زكاها)

قد أفلح فيه وجهان أحدهما أنه جواب القسم والأصل: لقد، وإنما حذفت لطول الكلام، والثاني أنه ليس بجواب، وإنما جيء به تابعاً لقوله ﴿فَالْهَمُّهَا فُجُورُهَا وَتَوَّاهَا﴾ (الشمس، ٨)، فالجواب محذوف تقديره لِيُذَمِّدَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ أَي: على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله (ﷺ) كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه السلام قال معناه الزمخشري، وقدره غيره لَتُبْعَنَّ^(٢).

وقدم (أفلح من زكى نفسه واتبع ما ألهمه الله من التقوى، فتقدم الفلاح لمناسبة التقوى^(٣)) و(من) صادقة على اللسان أي الذي زكى نفسه بأن اختار لها ما به كما لها ودفع الرذائل عنها، والإنسان والنفس شيء واحد ونزلاً منزلة شيتين باختلاف الإرادة والاكْتِسَاب^(٤). وفاعل الظاهر أنه ضمير من، ومثل ضمير الباري تعالى أي من زكاها الله، أي زكى الله نفسه، وأنحى الزمخشري^(٥) على صاحب هذا القول لمنافرتة مذهبه، والحق أنه خلاف الظاهر لا لما قال الزمخشري بل لمنافرة نظمه للاحتياج إلى عود الضمير على النفس مقيدة بإضافتها إلى ضمير من^(٦). وقد ذكر شيئاً مقابلاً لشيء آخر وهو التزكية وهي

(١) التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) ينظر: الكشاف، ٢٥٩/٤.

(٣) م. ن، ص ٣٧١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٣٧١.

(٥) الكشاف، ٢٥٩/٤.

(٦) ينظر: الدر المصون، ١١-٢١؛ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، أبو زكريا الأنصاري،

متقابلة ومتضادة ومتضاداً مع التدسية من الآية العاشرة من سورة الشمس ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

٢ - التوكيد باللام وقد:

ولم يقتصر أسلوب التوكيد في الجملة الماضيّة على الحرف قد بل ورد أيضاً بأسلوب اللام المقترنة بـ قد.

اختلف العلماء في اللام المقترنة بـ (قد) فذهبت طائفة منهم إلى أنها لام القسم فهي واقعة في جواب القسم المحذوف، ولا يجوز حذفها إذا طال الكلام^(١). في حين ذهبت طائفة إلى أنها لام التوكيد فهي بمنزلة لام الابتداء تفيد تقوية إسناد الجملة^(٢) وعليه فالجملة يكون فيها توكيدان الأول باللام، والثاني بقد، وثمة قول ذهب إليه أحد الباحثين المحدثين موقفاً بين الرأيين السابقين، إذ قال: ((ولعلّ ذلك إنما يعود إلى التقارب الشديد بين اللامين، وهما ينتميان إلى فصيلة واحدة، وما القسم إلا ضرب من التوكيد؛ لأن الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه، من نفي أو إثبات كما يراه كثير من العلماء فكل قسم يرد به التوكيد، وأساليب القسم إنما يرد بها التوكيد))^(٣).

وردت الجملة الماضيّة مؤكدة بـ (قد) من الفعل المجرد والمسند إلى ضمير المتكلم والمتعدي إلى المفعول على وفق النمط الآتي:

و + لقد + فعل ماضٍ + الفاعل (ضمير نا) + مفعول به + جار ومجرور.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد، ٤).

(١) ينظر: معاني الحروف، أبو الحسن الرماني ت ٣٨٤هـ، تح.د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، القاهرة، ١٩٧٣م: ٥٤، مغني اللبيب، ١/٢٢٩.

(٢) ينظر: كتاب اللامات الزجاجي، ٦٩-٧٠؛ الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، ت ٧٤٩هـ، تح. طه محسن، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م : ١٦٢-١٦٣؛ البحر المحيط، ١/٢٤٥، ٦/١٠٦.

(٣) أساليب القسم في اللغة العربية، كاظم فتحي الراوي، ط١، المطبعة الجامعة، بغداد، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م : ١١٩-١٢٠.

المعاني النحوية لكل لفظة تعكس الدلالات القرآنية التي رمى إليها القرآن الكريم فضلاً عما توحي إليه لفظة (الكبد) من مدلولات مختلفة تعززها صوتيات حروفها، فاللام الواقعة في جواب القسم هي الإثبات والتأكيد الأول على خلق الإنسان في حال من الشدة والضنك ثم التأكيد الثاني بـ (قد) وما يستفاد من تحقيق وثبوت الحالة المضنية، ويعزز المعنى الفعل (خلقنا) الدال على تجدد الحدث والاستمرار، فالمرء متحمل لمشاق الحياة ومتاعبها طوال حياته، وأما ضمير الجمع الجلاي فقد أبرز دلالة التمكن والتهيمن في خلق تلك الحالة الخلقية فضلاً عن الظرفية المتأنتية من قوله (في كبد) المستعملة مجازاً في الملازمة فكان المرء مخلوقاً للمشقة^(١). وأما لفظ الإنسان فقد عرّف تعريف الجنس باتفاق جمهور المفسرين^(٢) وعلى هذا المراد بالتعريف تخصيص أهل الشرك بالآية المباركة وبدليل قوله تعالى ﴿أَيْحَسَبُ أَنْ لَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (البلد، ٥) فإنها لا تليق إلا بأحوال غير المؤمنين وبذلك يكون التعبير القرآني، قد عيّن أدق لفظ لأداء الوظيفة المعنوية التي تصور حال الإنسان كافراً أو غير كافر، والتأكيد على الأول بشكل دقيق. ولعلّ الاتساق بين الدلالة والصوت في اللفظ القرآني، ما يؤكد ويؤيد ما ذهب إليه المفسرون فالباء والذال قد أدت بصوتيهما إلى قوة المشقة والإجهاد، المستمر الملازم للإنسان فكلا الحرفين مجهوران شديدا القوة.

٣- التوكيد بالقصر:

القصر هو تخصيص شيء بشيء آخر بطريق من طرائق التوكيد وقد يطلق عليه مصطلح الحصر^(٣) وقد يكون بقصر الصفة على الموصوف، أو قصر الموصوف على

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٠/٣٥٠.

(٢) ينظر: م، ن، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معالم التنزيل ت ٧٤١هـ وبهامشه تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، بيروت، د.ت. : ٤/٢٤٨؛ تفسير أبي السعود، ٥/٢٦٥.

(٣) ينظر: معجم البلاغة العربية، د.بدوي طبانة، ط ١، منشورات جامعة طرابلس، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م : ٢/٧٠٩-٧١٠؛ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م : ٢/٤٤٨.

الصفة وهو طريقة من طرائق التوكيد عني به علماء البلاغة، وعني به النحاة ضمن ما أسموه بالاستثناء المفرغ وللقصر أدوات منها ما و إلا. ورد أسلوب التوكيد بالقصر ب، ما، إلا في مواضع نطلها حسب أنماطها. إذ ورد الفعل مجرداً متعداً إلى مفعول ومسند إلى ضمير الجمع على وفق النمط التركيبي الآتي:

حرف عطف + ما + فعل ماضٍ + الفاعل (واو الجماعة) + إلا + المصدر المؤول (مفعول به).

كقوله تعالى ﴿ وَمَا تَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (البروج، ٨).

فالاستثناء مفرغ مكون من (إلا أن....) والمصدر المؤول من (أن يؤمنوا) في محل نصب مفعول (تقمو)، أو مفرغ من أعم الأسباب أو الأحوال، وقيل في محل نصب بنزع الخافض، وقيل: استثناء منقطع^(١).

وجملة (وما تقموا...) عطف على الجملة الاسمية ((وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود)) البروج ٧ وحسن ذلك على ما قيل كون تلك الاسمية لوقوعها في حيز إذ ما ضوية فكان العطف عطف فعلية على فعلية، وقيل إن هذه الفعلية بتقدير وهم ما تقموا منهم ((إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد))، استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية^(٢).

وثمة نمط آخر للجملة الماضيّة إذ ورد أسلوب التوكيد ب ما، إلا لكن الفعل مزيدٌ بالتضعيف نحو قوله تعالى ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (البينة، ٤).

الواو عطف + ما نافية + فعل ماضٍ + الفاعل اسم موصول + فعل ماضٍ مبني للمجهول + نائب الفاعل (واو الجماعة) + (مفعول به) + إلا استثناء + جار ومجرور + ما حرف مصدري + فعل اتصل تاء تأنيث + مفعول به + الفاعل

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (البينة، ٤).

(١) الشافي الوجيز في إعراب كتاب الله العزيز، حسن طه حسن السنجاري، ط١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، المكتبة العصرية، بيروت : ٧٤٤.

(٢) روح المعاني، ٢٩ / ٤٢٠

الواو حرف عطف ابطالاً على ابطال ويجوز أن تكون واو الحال، والمراد بالتفرق تفرق بني إسرائيل بين مكذّب لعيسى (ﷺ) ومؤمن به، وما آمن به إلا نفر قليل من اليهود، وجعل التفرق كناية عن إنكار البينة؛ لأن تفرقهم كان اختلافاً في تصديق بيّنة عيسى (ﷺ)، فاستعمل التفرق في صريحة، وكنايته لقصده إدماج مذمتهم بالاختلاف بعد ظهور الحق فالتعريف في البينة للعهد الذهني، أو للمعهود بين المتحدث عنهم وهي بيّنة أخرى غير الأولى وإعادتها من إعادة النكرة نكرة مثلها. إذ المعرف بلام العهد الذهني بمنزلة النكرة أو من إعادة المعرفة المعهودة معرفة مثلها^(١).

(والذين) انتصب إما على المصدر من (ليعبدوا) (جزء من الآية ٥) أي ليدينوا الله بالعبادة الدين، وإما على اسقاط في أي في الدين^(٢)، وجملة «أوتوا الكتاب» جملة متكونة من فعل مبني للمجهول والواو في محل الرفع نائب عن الفاعل. ولفظ الكتاب مفعول به منصوب.

وإلا استثناء، من بعد ما جار ومجرور، ما حرف مصدري مبني على السكون، جاءتهم فعل ومفعول ثم لفظ البينة التي أعربت فاعلاً.

ولم يقتصر توكيد الجملة الماضية على الفعل المبني للمعلوم بل ورد التوكيد للجملة بالفعل المبني للمجهول بصيغة الفعل المجرد المحوّل عن الفعل المعلوم وعلى وفق النمط التركيبي الآتي:

واو الحال + الفعل المبني للمجهول الماضي + إلا + لام أن + يعبدوا + مفعول به + حال

﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (البينة، ٥).

الواو للحال، وما نافية والجملة حال من الضمير في قوله «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ» (البينة، ١) والمعنى: والحال أن البينة قد أتتهم إذ جاء الإسلام بما صدّق قول الله تعالى لموسى (ﷺ). والتعبير بالفعل المسند للمجهول مفيد لمعنيين، أي ما أمروا في كتابهم إلا بما جاء به الإسلام، ونائب فاعل (أمروا) محذوف للعموم، أي ما أمروا بشيء إلا بأن يعبدوا

(١) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٢) البحر المحيط، مج ٨/٤٩٥.

الله، إذ إن اللام في (ليعبدوا) هي اللام التي تكثر زيادتها بعد فعل الإرادة وفعل الأمر، وسماها بعض النحاة لام أن^(١).

فالاستثناء مفرغ من أعم العلل فهو بمثابة المفعول لأجله، مخلصين حال، وجملة (وما أمروا...إلا) معطوفة أو حالية أو مستأنفة^(٢).

٤ - التوكيد بالمصدر:

من أساليب التوكيد في العربية التوكيد بالمصدر (المفعول المطلق) وقد وردت الجملة الماضوية مؤكدة بالمصدر في مواضع قليلة نحلها حسب النمط الآتية:

إنَّ + اسمها + فعل وفاعل ضمير نا المتكلمين + مفعول به + المفعول المطلق

وردت الجملة الماضوية مؤكدة بالمصدر وهي متصدرة بالفعل المجرد المتعدي والمسند إلى ضمير نا على وفق النمط الآتي:

نحو قوله تعالى ﴿أَنَا صَبِيًّا الْمَاءَ صَبًّا﴾ (عبس، ٢٥)

جملة إنا (صبينا الماء صباً) بيان لجملة ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (عبس، ٢٤) لتفضيل ما أجمل هناك على وجه الإيجاز.

وإسناد الصب إلى ضمير الجلالة؛ لأن الله مقدّر نظام الأسباب المؤثرة في ذلك. ومحكم نواميسها ومُلهم الناس استعمالها.

فالإسناد مجاز عقلي، وقد شاع في صبينا حتى ساوى الحقيقة العقلية وانتصب صباً على المفعول المطلق لـ صبينا مؤكداً لعامله. ليتأتى تنوينه لما في التكرير من الدلالة على التعظيم، وتعظيم كل شيء بما يناسبه وهو تعظيم تعجيب^(٣).

وذكر الله في عبس أنا صبينا الماء صباً. والصب أكثر من الإنزال، علاوة على أنه أكده بقوله صباً. واسند الفعل صبينا إلى ضمير المتكلم بصيغة الجمع للتعظيم وهذا يقتضي

(١) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٤٨٠؛ الجنى الداني، ١٥٦.

(٢) الشافي الوجيز في إعراب كتاب الله، ص ٧٥٩.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ١٣١.

الزيادة في التفضل على الإنسان فيما ذكر وكيف أنها زاد في الكمية في (عبس) جاء بضمير الجمع^(١).

انا وما بعدها في تأويل مصدر في محل جر بدل اشتمال من طعامه ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ (عبس، ٢٤) (٢).

وثمة نمط آخر للجملة الماضوية المؤكدة بالمصدر من الفعل المزيد المتعدي والمقيد بالحرف والمتصل بضمير الجمع حسب النمط الآتي:

فعل + الفاعل (الواو) + جار ومجرور + المصدر

نحو قوله تعالى ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾ (النبأ، ٢٨).

(كذبوا) عطف على ﴿ لَأَيْرُجُونَ ﴾ (النبأ، ٢٧) أي كذبوا ما اشتملت عليه الآيات من إثبات الوجدانية ورسالة محمد (ﷺ) ولكون تكذيبهم قد استقر في نفوسهم، ولم يترددوا فيه جيء في جانبه بالفعل الماضي لأنهم قالوا: قلوبنا في أكتة مما تدعونا إليه وفي أذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب.

وكذاب مصدر كذب بكسر الكاف وتشديد الذال. والفعل بكسر أوله وتشديد عينه مصدر فعل مثل التفعيل ونظائره وانتصب كذاباً على أنه مفعول مطلق مؤكد لعامله؛ لإفادة شدة تكذيبهم بالآيات^(٣). وأوثر هذا المصدر دون التكذيب لمراعاة التماثل في فواصل هذه السورة والفواصل كأسجاع ويحسن في الأسجاع ما يحسن في القوافي^(٤).

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش، مج ٨، ٢٢٧.

(٣) ينظر: تفسير النسفي، ٣٢٧/٤؛ والتحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٤١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٤٠-٤١.

٥ - التوكيد بالتقديم:

وهو أحد الأساليب التوكيدية في القرآن الكريم التي تضيف على النص روعة وجمال، يتغير فيه الترتيب المألوف في نظام الجملة ولموقع اللفظة أثر في الكشف عن قيمتها التعبيرية ((فورد في بداية الجملة حاملة لشحنة أولية يتلقاها القارئ أو السامع في هذا السياق أو ذلك ممكن ان تمثل مرحلة من مراحل الاتصال بين المتلقي والمعنى))^(١) فتقديم الفاعل أو المفعول على فعله والجار والمجرور والظرف على عامله، له أسرار عميقة يتلمسها المتأمل في كلام الله لذا فقد أخذ أسلوب التقديم حظه من الدراسة في البحث البلاغي والنحوي معاً، وأولى عناية فائقة بدت جلية واضحة من تحليلاتهم، التي وردت في مصنفاتهم ولاسيما في تحليل الآيات القرآنية، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) إلى نوعي التقديم، فمنه ما كان التقديم على نية التأخير، ومنه ما كان التقديم لا على نية التأخير^(٢).

ومن صور التقديم الواردة في الجملة الماضيّة البسيطة تقديم المفعول به على الفاعل على وفق النمط الآتي:

إذ + فعل + مفعول به ضمير مقدم + فاعل + ضمير للإضافة + جار ومجرور + صفة + طوى اسم مكان منع من الصرف للعلمية والتأنيث
نحو قوله تعالى ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (النازعات، ١٦).

إذ اسم زمان استعمل هنا في الماضي وهو بدل من (حديث موسى عليه السلام) ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (النازعات، ١٥) أي بدل اشتمال، لأن حديثه يشتمل على كلام الله إياه وغير ذلك، ويجوز أن تكون بدلاً من الفاعل، وأضيفت إذ إلى جملة (ناداه ربّه) وطوى اسم مكان بظاهر مكة بضم الطاء وفتحها وكسرهما^(٣)، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، أو للعدل عن طاو أو للعجمة، ومن لم يصرفه جعله كعمر معدولاً، إلا أن

(١) في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، ١٣٥.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، ٣٥-٣٦.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، ٥٧٨/٢.

الفراء^(١) ينكر ذلك ((لأنه زعم أنه لا يُعرف في كلام العرب اسماً من ذوات الياء والواو معدولاً عن فاعل إلى فُعَل))، قال أبو جعفر^(٢) ((يجوز أن يكون ترك الصرف على أنه اسم للبقعة فيكون على غير ما تأول)) إذاً هو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. وقوله ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ (النازعات، ٢٥)

الفاء + الفعل + المفعول (ضمير) + الفاعل + المفعول المطلق المبين للنوع إذ قدّم المفعول الهاء على الفاعل، وانتصب نكالاً على المفعولية المطلقة، مبيناً النوع الأخذ، آخذين بنوعين منه؛ لأن الأخذ يقع بأحوال كثيرة وقد استعمل النكال في حقيقته ومجازه؛ لأن ما حصل لفرعون في الدنيا هو نكال حقيقي، وما يصيبه في الآخرة أطلق عليه النكال؛ لأنه يشبه النكال في شدة التعذيب ولا يحصل به نكال يوم القيامة^(٣)، وقدّم نكال الآخرة على نكال الأولى؛ لأنه أشد وأبقى؛ ولأنه الأنسب في هذا السياق الذي يتحدث عن الآخرة ويجعلها موضوعه الرئيسي؛ ولأنه يتسق لفظياً مع الإيقاع الموسيقي في القافية بعد اتساقه مع الموضوع الرئيسي معنوياً، ومع الحقيقة الأصلية ونكال الأولى كان عنيفاً، فكيف بنكال الآخرة وهو أشدّ من فرعون، وفرعون كان ذا قوة، فكيف بغيره من المكذبين، ويلاحظ ورود الفعل أخذه بصيغة الماضي، مع أنه عذاب الآخرة مستقبل ليوم الجزاء مراعى فيه امته لما مات، ابتدأ بذوق العذاب حين يرى منزلته التي سيؤول إليها^(٤). وورد نمط آخر للجملة الماضوية وهو تقديم الجار والمجرور على المفعول في الفعل المزيد المتعدي إلى مفعول والمقيد بحرف الجر على وفق النمط الآتي:

فعل ماض + الفاعل (علم) + جار ومجرور + مفعول + حرف عطف + معطوف

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ (النازعات، ٣١)

(١) معاني القرآن، ٢٣٣/٣.

(٢) إعراب القرآن، ١٢٦٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٨١-٨٢، في ظلال القرآن، سيد قطب ت ١٩٦٦م، ط ٥، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م : ٣٨١٥/٦.

(٤) إعراب القرآن، ١٢٦٧.

جملة أخرج منها ماءها ومرعاها بدل اشتمال من جملة ﴿ دَحَاهَا ﴾ (النازعات، ٣٠)؛ لأن المقصد من دحوها بمقتضى ما يكمل تيسير الانتفاع بها، ولا يصح جعل جملة ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ بياناً لجملة ﴿ دَحَاهَا ﴾ (النازعات ٣ لاختلاف معنى الفعلين، والمرعى مصدر ميمي اطلق على المفعول كالخلق بمعنى المخلوق أي أخرج منها ما يُرعى^(١).
ومن صور التقديم في الجملة الماضيّة البسيطة تقديم الظرف على المفعول في الفعل الماضي المجرد المسند إلى ضمير المتكلمين وعلى وفق النمط الآتي:
حرف العطف (الواو) + فعل ماضٍ + الفاعل نا (ضمير المتكلمين) + الظرف + مفعول به + صفة

كقوله تعالى ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ (النبأ، ١٢)

الفعل بنينا إشارة إلى خلق العوالم العلوية، إذ البناء جعل الجاعل أو صنّع الصانع بيتاً أو قصرًا من حجارة أو طين، وهو مصدر بنى والبناء يستلزم الإعلاء على الأرض، واستعير فعل بنينا لمعنى خلقنا ما هو عالٍ فوق الناس؛ لأن تكوينه عالياً يشبه البناء، ولذلك كان قوله (فوقكم) إيماء إلى وجه الشبه في إطلاق فعل بنينا وليست ذلك، تجريداً للاستعارة؛ لأن الفوقية لا تختص بالمبنيات مع ما فيه من تنبيه النفوس للاعتبار، والنظر في تلك السبع الشداد، إذ المراد بالسبع الشداد، السماوات فهو من ذكر الصفة، وحذف الموصوف ولذلك جاء الوصف باسم العدد المؤنث إذ التقدير سبع سماوات^(٢). ويجوز أن يراد بالسبع، الكواكب السبعة المشهورة بين الناس يومئذ، وهي زُحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وهذا المحمل هو الأظهر؛ لأن العبرة اظهر، لأن المخاطبين لا يرون السماوات السبع ويرون هذه السيارات ويعهدونها وهي ستورن، نبتون، اورانوس. وتقديم الظرف على المفعول للتشويق إليه مع مراعاة الفواصل^(٣).

(١) التحرير والتتوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٦٧.

(٢) ينظر: التحرير والتتوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ٢٢-٢٣.

(٣) روح المعاني، ٢٩/٢٩٠.

ومن صور التقديم تقديم الجار والمجرور على الفعل المجرد والممتد بجمله العطف
الماضوية على وفق النمط الآتي:

جار ومجرور + فعل + الفاعل (الله) + المفعول (ضمير) + جملة ممتدة معطوفة
قال تعالى ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾ (عبس، ١٩)

قدّم الجار والمجرور في قوله (من نطفة خلقه) محاكاة لتقديم المبيّن في السؤال الذي
اقتضى تقديمه كونه استفهاماً يستحق صدر الكلام مع الاهتمام بتقديم ما منه الخلق لما
في تقديمه من التنبيه للاستدلال على عظيم حكمة الله، إذ كَوّن أبداع مخلوق معروف من
أهون شيء وهو النطفة ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ (عبس، ١٨). وإنما لم يستغن عن إعادة فعل
خلقه في جملة الجواب، مع العلم به بتقدم ذكر حاصله في السؤال؛ لزيادة التنبيه على دقة
ذلك الخلق البديع. فذكر فعل خلقه الثاني من أسلوب المساواة ليس بإيجاز وليس
باطناب، وليس في ذكر النطفة، هنا ايماء إلى تحقير أصل نشأة الإنسان على أنه المقام
للدلالة على خلق عظيم وليس مقام زجر المتكبر، وقرع على فعل خلقه فعل فقدّره بفاء
التفريع أي جعل التقدير من آثار الخلق؛ لأنه خلقه متهيئاً للماء وما يلابسه من العقل
والتصرف وتمكينه من النظر بعقله والأعمال التي يريد اتيانها وذلك حاصل مع خلقه
مدرجاً مفرعاً وهذا التفريع وما عطف عليه ادماج للامتتان في خلال الاستدلال^(١).

٦- التوكيد بالاشتغال:

الاشتغال هو أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل مفضولاً عنه بضمير يعود على الاسم
المتقدم في الجملة، بحيث أنه متى زال الضمير من الفعل نصب الاسم المتقدم عليه على
أنه مفعول به فيخرج من بابه^(٢).

(١) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص: ١٢٢-١٢٣، روح المعاني: ٣٠/٣٤٥.

(٢) ينظر: شرح قطر الندى، ١٩٢.

وقد عدّ البلاغيون أسلوب الاشتغال من أساليب التوكيد التي تفيد التخصيص والتوكيد، فإذا قدر المفسر المحذوف قبل المنصوب أي (عرفت زيداً عرفته) هو من التوكيد التكراري، في حين أن قدر بعده أي زيداً عرفت عرفته فهو من باب التخصيص^(١). ومن المحدثين من عدّ الاشتغال ضرباً من ضروب التوكيد ضمن معالجة وصفية، تحليلية للموضوع مثلماً ذلك التوكيد بعنصري التركيب، والزيادة بوصفها من عناصر النظرية التوليدية التحويلية^(٢)، فالاشتغال ضرب من ضروب التوكيد في بناء الجملة.

١- وقد وردت الجملة الماضية مؤكدة بأسلوب الاشتغال في جزء عمّ في مواضع قليلة، إذ وردت من الفعل المجرد المتعدي إلى مفعول والمسند إلى ضمير الغائبة على وفق النمط الآتي:

الواو استئنافية+ مفعول به + ظرف مضاف + مضاف إليه + فعل ماض + فاعل + المفعول

﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ (النازعات، ٣٠)

الواو استئنافية^(٣) المشغول عنه (الأرض) فصل عن المشغول به (دحاها) بالظرف بعد ذلك، يجوز في المشغول عنه النصب والرفع، ((فالنصب على معنى ودحا الأرض بعد ذلك، وفسر هذا المضمّر فقال دحاها، كما تقول: ضربتُ زيداً وعمراً أكرمته، وقد قرئت الأرض بعد ذلك دحاها، على الرفع بالابتداء والنصب أجود))^(٤).

٢- ووردت الجملة الماضية مؤكدة بأسلوب الاشتغال من الفعل المزيد المتعدي إلى مفعول والمسند إلى ضمير الغائبة على وفق النمط الآتي:

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ت ٧٣٩هـ، تحقيق لجنة من أساتذة قسم اللغة العربية بجامعة الأزهر، طبع بالأوفست في مكتبة المثني بغداد عن مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، دت : ١١٠-١١١.

(٢) ينظر: في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، دخليل عماير، ط ٢، مكتبة المدار، الأردن، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م : ٢٦٠-١٦٣.

(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، محمود الصافي، ط ١، مكتبة النهضة، قم، ١٤١١هـ-١٩٩١م : ٢٣٤/١٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه، ٢٨٠/٥.

مفعول به + فعل ماضٍ + الفعل (الله) + المفعول ضمير الغائبة

قال تعالى ﴿وَالْجِبَالُ أَمْسَاكًا﴾ (النازعات، ٣٢)

يجوز على طريقة نصب ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات، ٣٠) ويجوز أن يكون

عطفاً على ﴿مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (النازعات، ٣١). وإرساء الجبال اثباتها في الأرض^(١).

وإثبات الجبال هو رسوخها بتغلغل صخورها وعروق أشجارها، ومن معنى إرسائها أنها جعلت منحدره ليتمكن الناس من الصعود فيها بسهولة.

ونصب لفظ الجبال على الاشتغال فهو المشغول عنه، وجملة أرساها المشغول به ووجه

نصب الجبال أنها مفعول به لفعل محذوف تقديره أثبت الجبال^(٢).

ووردت الجملة الماضوية المؤكدة بأسلوب الاشتغال من الفعل المزيد المتعدي إلى مفعول

والمسند إلى ضمير الغائب كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ (عبس، ٢٠).

أداة عطف + مفعول به + فعل ماضٍ + الفاعل (الله) + مفعول به (ضمير الغائب)

لفظ السبيل منصوب بفعل مضمر على طريق الاشتغال، والضمير عائد إلى السبيل

والتقدير، يسر السبيل له، وتقديم السبيل على فعله للاهتمام بالعبارة بتيسير السبيل بمعنييه

المجازيين وفيه رعاية للفواصل^(٣).

الخاتمة

من خلال الدراسة النصية للغة القرآنية في جزء عمّ، استطاع البحث أن يقف على ما

تميز به الاستخدام القرآني للغة في هذا الجزء من القرآن وذلك على النحو الآتي:

(١) معجم مقاييس اللغة، ٣٨٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ٥٧-٣٨.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، مج ١٥، ج ٣٠، ص ١٢٣-١٢٤.

١. إن مصطلح البناء من المصطلحات ذوات الدلالات المتعددة، أما الدلالة الاصطلاحية التي عناها بحثنا فهي تركيب المفردات وصياغتها ضمن العلاقات النحوية الصحيحة التركيب التي يحكمها السياق بحيث تشكل وحدة تركيبية واحدة.
٢. شغلت الجملة الماضية ذات الفعل المجرد المتعدي إلى مفعولين والمسندة إلى ضمير المتكلمين، وضمير المخاطب، والغائب في جزء عمّ.
٣. اشتملت الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ على الفعل، المبني للمعلوم، والفاعل ظاهراً أو مستتراً، ومفعول به أو أكثر وهذا النوع هو الكثرة الغالبة من الجمل الماضية المثبتة ولاحظت أن هذا النوع من الجمل مرتبط بما قبله.
٤. وردت جمل قصيرة تتكون من فعل وفاعل مستتر ويكثر عطف بعضها على بعض.
٥. ورود جمل تلتزم نظاماً مطرداً يبدأ بفعل فاعله يكون ضميراً غائباً ويليه شبه جملة، ولم يشذ عن هذا النظام إلا جملة واحدة، جاء الفاعل اسماً ظاهراً وهو «كَذَبَتْ شُودُ بِطُغَوَاهَا».
٦. وردت جمل ماضوية مثبتة مجردة من التوكيد مشتملة على الفعل المبني للمجهول، والنائب عن الفاعل اسماً ظاهراً في الغالب ثم جاءت بعض الملحقات كما في قوله تعالى «فَتَحَّتِ السَّمَاءُ»، «وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ»، «وَبُرَزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى»، «خَلَقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ».
٧. النفي في الجمل الماضية في جزء عمّ كان قليلاً ولا يتعدى أن يكون بأداة النفي ما، فضلاً عن دخول لا على الفعل الماضي في آية واحدة وهي «فَلَا اقْتَحَمَ الْعُكْبَةَ» ويبدو والله أعلم أن التقدير ولا غيرها.
٨. تنوع وسائل التوكيد في الجملة الفعلية فنجد التوكيد بالتقديم وبالقصر وبالمفعول المطلق وغيرها.
٩. الكثرة الغالبة من الجمل الفعلية الماضية المثبتة في جزء عمّ تتبع النظام الاعتيادي في تركيب الجملة. فالفعل مبنياً للمعلوم ثم الفاعل، ثم المفعول به إن وجد ثم سائر الملحقات، أو الفعل المبني للمجهول ثم النائب عن الفاعل.

١٠. إن الفاعل المحذوف في جملة الفعل المبنية للمجهول يعود في أغلب أحواله إلى الله. فيحذف للعلم به، فضلاً عن أن التعبير بالفعل الماضي المبني للمجهول سمة اسلوبية واضحة في التعبير القرآني لأغراض ومقاصد معينة.
١١. ورود أسلوب القصر في جملة الفعل الماضي المؤكد، فكانت له صورة واحدة وهي ما و إلا.
١٢. ورود التوكيد بالمصدر أسلوباً من أساليب التوكيد في جملة الفعل الماضي وكان المصدر المؤكد لفعله هو الأكثر ذكراً من غيره من ضروب التوكيد بالمصدر.

Verbal Sentence Structure In Chapter of (Ammah) of Holy Quran

**The Past Tense as a model
PhD. Huda Taher Mohammed**

Abstract

The study deals with verbal tense structure in Ammah Chapter , the past tense as a model. Sentence structure have been chosen to be studied because it is considered as an extension of Quranic studies and the reason behinds choosing sentence structure of verbal sentence in Holy Quran because it is widely spreads with multiple patterns and various indications. The structure of study includes an preface, two sections , each of section has aspects and each of whom preceded by an introduction and end with conclusion quoted from lighting parts of this study. The selective methodology was used where I go through a number of verses which I tried to discuss. The conclusion reveals the most significant findings. Then follows by table of references and finally I ask Allah that this work is purely for Allah's sake and Allah bless